خطبة 31 / 5 / 2013 م (الإسراء والمعراج)

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم ، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير} [سورة الإسراء (1)] والقائل ربنا جل وعز: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى \* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى \* عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى \* إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى \* مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى \* لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [سورة النجم (13-18)] والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا ، مولانا وحبيبنا و قدوتنا وقرة أعيننا ، عشيق قلوبنا سيدنا محمد ، القائل في الحديث الصحيح ، عن مالك بن صعصعة قال: قال النبي : (بينا أنا عند البيت –أي في الكعبة- بين النائم واليقظان -وذكر يعني رجلا بين الرجلين- فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيماناً ، فشق من النحر إلى مَرَاقِّ البَطن ، ثم غسل البطن بماء زمزم ، ثم مُلئ حكمة وإيماناً ، ثم أتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار "البراق" ، فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا ، قيل: من هذا ؟ قال: جبريل ، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد ؟ قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال: نعم ، قيل: مرحباً ولنعم المجيء جاء ، فأتيت على آدم فسلمت عليه ، فقال: مرحباً بك من ابن ونبي) [أخرجه البخاري] ثم ترقى النبي إلى السماء الثانية ، فرأى عيسى بن مريم ويحيى ابني الخالة ، وفي الثالثة يوسف ، وفي الرابعة إدريس ، وفي الخامسة هارون ، وفي السادسة موسى ، وفي السابعة نبي الله وخليل الرحمن إبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ، وأوصيني وإياكم بتقوى الله عز وجل .

أيها الإخوة الكرام: عنوان خطبة اليوم (الإسراء والمعراج من خلال جزء من حديث مالك بن صعصعة عن سيدنا أنس ) .

الإسراء: هو انتقال النبي من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في إيلياء . المعراج: عروجه من المسجد الأقصى إلى السموات العلى إلى سدرة المنتهى ، إلى ما أراد الله .

الإسراء ثابت في صريح القرآن ، المعراج ثابت بصراحة في صريح الأحاديث ، ففي صحيح البخاري وحده عشرون حديثاً ، وفي صحيح مسلم وحده ثمانية عشر حديثاً ، وجاء ذكر المعراج تلميحاً في سورة النجم التي تلوت بعضَ آياتها .

تعالوا إلى الحديث نستظل بظله ، ونعيش أفياء حياته ، وننقل بكاميرا متواضعة جداً جداً إلى هذا الحدث الأعظم الأعظم ، عن مالك بن صعصعة قال: قال النبي : (بينا أنا عند البيت) القصة من أولها أن النبي كان في بيت أم هانئ ، وبيت أم هانئ في شعب أبي طالب ، وشعب أبي طالب الذي كان فيه الحصار الاقتصاري ، من الليل يولد الفجر ، ومن المحنة تولد المنحة ، والتحلية تأتي من تخلية ، والولادة تأتي بعد آلام مخاض .

اشتدي أزمة تنفرج قد آذن ليلك بالبلج

من الحصار الاقتصادي من نفس المكان ، انطلق النبي مع جبريل إلى الحرم المكي ، استلقى قليلاً ، ومنها جوازُ النوم بالمسجد بشروطه ، وذكر رسول الله بين الرجلين ، الرجل الأول كان سيدنا حمزة ، عن يمين النبي ، وحمزة هو عم سيدنا رسول الله ، وحمزة هذا هو أخ لسيدنا محمد في الرضاع ، وحمزة هذا ابن خالة سيدنا محمد ، وحمزة هذا ولد قبل سيدنا محمد بشهر ، وحمزة هذا الذي ضرب بقوسه أبا جهل لما اعتدى على النبي ، وحمزة هذا هو سيد الشهداء . وإلى يسار رسول الله سيدنا جعفر بن أبي طالب ، ابن عم النبي ، وهو أخ لسيدنا علي . (بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان - وذكر يعني رجلا بين الرجلين - فأتيت بطست من ذهب) يقال: طَست ويقال: طِست ، كما قال ابن حجر في شرح صحيح البخاري ، (طست من ذهب ملئ حكمة وإيماناً) الحكمة: هي وضع الشيء في محله ، فعند القوة قوة وعند الرقة رقة ، وعند الذكر ذكر ، وعند الفكر فكر ، وعند الصدقة صدقة ، وعند الأمر بالمعروف أمر بالمعروف ، وعند الوضوء نشاط ، وعند الصلاة خشوع ، وعند الكلمة الفصاحة ، وعند الفصاحة الإخلاص ، هذه هي الحكمة ، الحكيم ، أليس الطبيب نسميه حكيماً ؟ ولماذا سماه العرب حكيماً ؟ لأنه يعطي لكل مرض دواءه ، كل ما يتصور من ذهنك من حكمة الأنبياء سادة وقادة البشر في أعلى قمتها كانت في هذا الطست ، (حكمة وإيماناً) فإذا كان الصديق أبي بكر يرجح على إيمان الأمة ، فإيمان سيدنا محمد يرجح على إيمان الأنبياء مجتمعين . ولسائل أن يسأل: كيف طست من ذهب ؟ أليس الذهب حراماً على رجال هذه الأمة ؟ قال العلماء: الطست من ذهب الجنة أولاً وليس من ذهب الدنيا ، وقالوا أيضاً: طست الذهب لم يَلمسه رسول الله ولم يستعمله رسول الله ، والذي استعمله هو الملك ، (فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيماناً ، فشق من النحر إلى مراقِّ البطن) من النحر إلى الصدر إلى البطن إلى السرة إلى ما تحت السرة ، وسميت مراق البطن لأنها الجلدة الرقيقة في البطن ، شقاً من النحر نزولاً إلى الصدر مكان القلب ، إلى البطن إلى مراق البطن ، عملية جراحية إلهية ربانية ملكية ، تطهيرية تعطيرية تعقيمية ، رائعة رائقة فائقة ، باثقة تأخذ العقل . يا أيها الكون ، أعطونا مصلحاً أُجريت له عملية مثل سيدنا محمد ، ما رأيكم أن تأتوا إلينا إلى سيدنا محمد صاحب الإسراء والمعراج ، أم أن نأتي إليكم وليس عندكم ما عندنا ؟ عملية ملكية ، لا تخدير ، لا غرفة عمليات ، لا تعقيم بشري ، إنما هي لمسة ربانية إلهية ، فتح ذلك كله . في حادثة شق الصدر عندما كان صغيراً شُقَّ صَدره لأن الغاية من الشَّقِّ هو القلب ، بينما الشَّقُّ هنا الغاية القلب وما في داخل البطن . (أتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيماناً ، فشق من النحر إلى مراق البطن ، ثُمَّ غُسِلَ البطن بماء زمزم) أي محتوى البطن ، ولماذا بماء زمزم وليس بماء الكوثر ؟ قال العلماء: أمر تعبدي ، وإن كان فيه حكمة فكل يدلي بحكمته اجتهاداً ، قال العلماء: لأن ماء زمزم الذي لمس أعضاء النبي وقلب سيدنا محمد ، هذا الماءُ بقي أثره إلى يومنا هذا ، فيا من تَضَع ماء زمزم في فيك ، فَتذكر أن الماء هذا من أثر قلب النبي ، فكن على قلب النبي كما غُسل قلب النبي بماء زمزم . (ثم غسل بماء زمزم ، ثم مُلئ حكمة وإيماناً) غُسل القلب ، فُرِّغَتِ المعدة ، فُرِّغَتِ الأمعاءُ الغليظةُ والدقيقة ، فُرِّغَ كُلُّ شيء ، ليكون هذا الجسد الشريف المشرف العظيم المعظم ، غالياً من كدرات الدنيا ومن فضلاتها . (ثم أتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار "البراق") البراق مَركَبٌ رَبَّانِيٌّ أرسله الله إلى سيدنا محمد ، والملك الذي يُريد أن يكرم ضيفه لا يقول له: تعال بسيارتك ، أو دبر حالك ، أو خذ تكسي عامة ، الملك الذي يريد أن يكرم ضيفه يرسل المركبة من عنده ، إكراماً لرسول الله كان المركب من عند الله ، وإذا أراد الملك أن يُكرم ضيفه فيرسل إليه أغلى وأعز وأكبر وأعظم من عنده من الجنود ، فأرسل إليه سيدنا جبريل ، قال: (أتيت بدابة أبيض) البراق: له يدان وله رجلان ، في أحاديث أخرى يقول النبي : البراق إذا بلغ مكاناً مطئطئاً ، يعني واطي ، إذا بلغ مكاناً مطئطئاً طالت رجلاه وقصرت يداه ، وإذا بلغ مكاناً مرتفعاً قصرت رجلاه وطالت يداه ، والبراق سمي براقاً لأنه سريع ، فما سرعة البراق ؟ نحن نعلم سرعة الطائرة ، ونعرف سرعة الصوت ، ما سرعة البراق ؟ قال: البراق سرعته سرعة البصر ، يضع حافره عند أقصى طرفه ، هكذا في الحديث يقول ، ترجمة هذا بشكل عامي لو أن أحدنا ارتقى مأذنة سيدنا عيسى في هذا المسجد الذي بناه بنو أمية الذين فتحوا الدنيا ، وقف على مأذنة سيدنا عيسى بهذا البراق ، بمجرد البراق أن يرى بعينه القمر صار عند القمر ، بسرعة الطرف وبسرعة البصر ، المكان الذي يراه يطير عنده ، فكم من الزمن يقطع ؟ الزمن كما يقول علماء الفيزياء: يساوي صفر ، النبي انتقل من المسجد الحرام مسرى به من الله إلى المسجد الأقصى ، في المسجد الأقصى جمعت له الأنبياء ليلاً ، صلى بهم ركعتين ، سيدنا جبريل أقام الصلاة ، وأخذ بيد سيدنا محمد وجعله إماماً ، صلي بهم ، والرسالة الفكرية الثقافية تقول: كانت القيادة فيما مضى لبني اسرائيل ، وأعني بإسرائيل يعقوب ، يعقوب اسمه إسرائيل ، لما صلى النبي إماماً انتقلت القيادة إلى أمة سيدنا محمد ، هل كانوا لها أهلاً فيما مضى ؟ نعم ، فتحوا نصف الدنيا في نصف قرن ، ثم عرج بالنبي إلى السماء الدنيا ، فانطلقنا حتى أتينا السماء الدنيا ، فاستفتح جبريل ، قيل: من ؟ قال جبريل ، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد ، أو أرسل إليه ؟ قال: نعم ، قال: مرحباً به ولنعم المجيء جاء . جبريل أمير الملائكة لم يدخل السماء الدنيا إلا باستئذان ، إذاً هناك نظام لكل سماء ، لا يدخلها أحد إلا مستأذِنَاً ولو كان جبريل ، ثانياً: لكل سماء باب ، وربما أبواب ، قال الله تعالى: {وفتحت السماء فكانت أبواباً} باب واستئذان ، لما أستأذن جبريل ، قال: من ؟ قال: جبريل ، ولذلك يكره لنا عندما ندق الباب ، ويقول أهل البيت: من ؟ تقول لهم: أنا أنا افتح ، وفيها أحاديث . قال: جبريل . قيل: ومن معك ؟ انتبه ، قال: ومن معك ؟ ولم يقل معك أحد أو لا ؟ قال العلماء: سؤال ومن معك علم الملك ، قال: ومن معك ؟ يعلم الملك أن معه أحداً ، ولكن من هو لا يعلمه ، السبب هناك اجتهادان ، الاجتهاد الأول: أن أبواب السماء شافة ، وليست شفافة ، هناك باب خشبي كأبواب بيوتنا الخارجية حاجب لا يري شيئاً ، وهناك باب من زجاج شاف تَرَى الطرف الاخر وتعرف من هو ، وهناك باب من زجاج شاف وليس شفافاً ، تجد خيالاً ولكن لا تعرف من صاحب هذا الخيال ، إذاً أبواب السماء كانت شافة . وبعضهم قال من أهل التصوف ، الذين التزموا كتاب الله وسنة رسول الله ، وفهموا التصوف على حقيقته ، وكانوا يقرؤون القرآن ويعلمون سنة رسول الله ، وكانوا كالإمام أحمد الرفاعي يفتي على المذاهب الأربعة ، قال أهل التصوف: إن هذا الملك رأى نوراً زائداً على نور جبريل ، فاستغرب هذا النور الزائد ، وهذا النور العظيم من صاحب هذا النور ؟ لذلك سأل وقال: من معك ؟ قال: محمد ، قال: أوأُرسل إليه ؟ قال: نعم ، سؤال: هل أهل السماء يعرفون من هو سيدنا محمد ، أو مرة كانت أول مرة عندما صعد إلى السماء ؟ أهل السماء يعلمون من هو سيدنا محمد ، لكن هؤلاء لا يعلمون هل أرسل إليه أم لا ، نعلم أن محمداً بن عبد الله أعظم خلق الله وأحب خلق الله إلى الله ، كل ذلك نعلمه ، ولكن لا نعلم إذا أرسل إليه أم لا ، والسؤال: أرسل إليه أي صار رسولاً أم أرسل إليه أن يأتي إلى السماء ؟ القولان صحيحان ، لكن السياق اللغوي والبلاغي أن نرجح ، ولسنا من أهل الترجيح ، نجتهد ونرجح أن نقول: أرسل إليه أن يأتي إلى السماء . الرأي الثالث: هم يعلمون أنه نبي ويعلمون أنه رسول ، ويعلمون أنه أرسل إليه أن يأتي إلى السماء ، ولكنهم لا يعلمون موعد وصوله . كأم تنتظر ولدها ، قالوا لها: اليوم سوف يَخرج ، فتنتظر على أحر من الجمر متيقنة أن الطائرة ستصل ، ويخرج من المطار ، وعندما يدق الباب تقول: هل جاء ؟ وهي تعرف أنه ابنها ، وأنه سيأتي وأنه سيصل ، ولكم أوأرسل إليه ؟ قال: نعم ، قيل: مرحباً به ولنعم المجيء جاء ، هناك أحداث أخرى نرجِئُها إلى وقت آخر إن شاء الله ، ونكمل حديثنا في الأسبوع القادم ، إن أحيانا الله ، ومنحنا فسحة من الأجل ، ورزقنا العمل ، نسأل الله أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .